بسم الله الرحمن الرحيم

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } سورة آل عمران الآية : (7)

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

الحمدُلله الذي أَنْزَلَ التنـزيل، و أجاز لنا فيـهِ التَأْويـل، المنــزَّهِ عـن الجِسْـم وَالحَـدِ والشبيه والمثيَل، والزمانِ والمكانِ ، و كل ما كان في حقّه يستحيل، سُبْحانَهُ لا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ،فهو قدوس جليل، ولا شريكَ لَهُ في المُلكِ وَلا مُشيرَ لهُ في الحُكم ، وليس لحكمه تبديل، فمهما تصوَّرتَ ببالكَ فاللهُ تعالى على خلاف ذلك ، لا يُشـبهُ أحـد ، و لا يشـبهه أحد ، تنزه عن الصحبة والشريك و الولد ، هذا هو الحقّ ، وما كـان بخلافـه فأقاويـل باطلة ،ودعاوى واهية ، وَأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمّداً عَبْدُهُ المصطفي وَرَسُولُهُ المُرتَضى ونبيه المجتبى المؤيد بالمعجزة والدليل، بلَّغَ عن الله الرِسالة، فأضاء الدنيا ومحق الجهالة، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته وأصحَابه ، وجزاه الله عنا الجزاء الجزيل.

أما بعد:

فمن المعلوم أن الله تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسـلم عـلى حـين فـترة مـن الرسل ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومـن الغوايـة و الضـلالة إلى الهـدى و الاستقامة ، ويقضي علي اختلافها ، ويعمل على وحدتها ، فأنزل وحيا عليه بلسان عربي مبين يحقق هذا وزيادة ، فكانت نصوص القرآن الكريم ،

و السنة النبوية اللذان جاءا متفقان مع لغة العرب في وجوه التعبير ؛ إلا أن هذا لا يمنع من وجود كلام في لغة العرب يفهم المراد منه بمجرد سـماعه دون إعـمال عقـل و طول نظر ، و في المقابل فيه ما يحتاج إلى إمعان نظـر ، وحسـن تـدبر ليـتمكن المـرء مـن الوقوف على حقيقة معناه ، وفهم المراد منه بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غمـوض ، و هذا ما يستقيم وطبيعة العقول .

ومن هنا نقف على المغزى من رجوع الصحابة إلى النبي صلى الله عليه و سلم إذا ما استشكل عليهم الأمر ، فلم يكن في استطاعتهم جميعا فهم المراد من النصوص المقدسة جملة وتفصيلا بمجرد سماعها ، فقد كان مرجعا لهم ، يفصل لهم المجمل ، و يفسر لهم المبهم ، ويزيل لهم الغامض ، ويوضح لهم المحكم من المتشابه ، و أمرهم بالوقوف على

obeikandl.com

ما أعلمهم إياه ، مخافة الزيغ ، و الوقوع في الخطأ ، و التزم الصحابة خلال هذه الفترة على ما وجههم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يشذوا في رأي ، أو ينحرفوا في فكر ، أو يغالوا في تفسير ، ولذا آمنوا وسادوا و استقرت الأمور و توحدت كلمة المسلمين ومجتمعهم ، و ظل المجتمع المسلم على هذه الحالة فترة وجود النبي بينهم ، وكذلك في الفترات الأولى من عصور الخلافة الراشدة ، و التي عاش المسلمون فيها عيشة الطهر والعفاف والنقاء والصفاء مقتدين في ذلك بالرسول صلى الله عليه وسلم و متمسكين بكتاب الله تعالى ، فقد كانوا يرون فيهما الكفاية والشفاء ، ولم يكونوا يرجعون في شيء من ذلك إلي تأليف قياس ،أو إعمال فكر ،أو قضية عقل ، وما أشكل عليهم فهمه من الآيات وقفوا عند ظاهر معناه ، وما يتبادر إلي الأفهام في اللغة التي نزل بها القرآن من غير لجوء إلي التأويل ، وأمسكوا عن الخوض فيما وراء ذلك ، وكان لهم من التبصر بالدين وأساليب اللغة ما أمكنهم من فهم نصوص الكتاب وإشاراته فهما صحيحا .

ولكن بعد فترة من الزمن ، و لظروف خاصة ، و عوامل استجدت ، ومشكلات طرأت ، ظهر في المجتمع الإسلامي قضايا أثارت جدلا واسعا بين المسلمين ، وذلك مثل قضايا ، الإمامة ، ومرتكب الكبيرة ، وخلق القرآن ، و الذات الإلهية و ما يتصل بها ، واختلفت الأفهام حول هذه المسائل وغيرها ، فانحرف البعض عن تعاليم الإسلام ، و عملوا على تلبيس الحق بالباطل ، و عمدوا إلى تفسير النص الديني – قرآنا كان أو سنة – بما يحقق لهم أهدافهم ، ويقضي على قدسية النص الديني من ناحية ثانية ، و القضاء على العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس أتباعها من ناحية ثالثة،فوجهوا سهامهم صوب كتاب الله ، وعمل بعضهم على صرف بعض آيات القرآن الكريم عن ظاهرها بدعاوى مختلفة ، و أقاويل كثيرة. منها العلم بالباطن ، وعمدوا إلي تأويل النصوص بدعوى غموضها ، بما يتفق وأغراضهم ،و مثل هذا كان له خطره علي الإسلام والمسلمين .

فهذه القضية – أي التأويل – ألقت بظلالها على البيئة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها الفكرية فخاض فيها الفقهاء ، و الأصوليون ، و المتكلمون ، و الفلاسفة ، و الصوفية ، و غلاة الشيعة ، و اختلفت فيها الآراء ، وتعددت الاتجاهات ، ما بين مؤيد ومعارض ، بل لقد اختلفت درجات التأويل بين المؤيدين ، و قد يكون هذا الاختلاف مرده إلى طبيعة التأويل ذاتها ، إذ أن التأويل" يعني مجاوزة النص، و يعد مظهرا لاستخدام النظر العقلي في الدين،و الأفهام متنوعة ، مما يجعل الأخذ بالتأويل متفاوتا بين الآخذين به"[1].

و لما كان هذا الأمر هو منطلق كثير من الفرق الضالة ، و الآراء الشاذة ، هَمَ طائفة من علماء المسلمين على اختلاف مدارسهم الفكرية ، بدراسة قضية النص الديني ، و بيان المحكم من المتشابه ، وقاموا بشرحه و تفسيره بما يستقيم ،و لغته التي نزل بها ، و بما لا يعارض أصلاً من أصول الدين ، أو ينتقص من جلال الذات الإلهية و كمالها ، وكان من أحد هؤلاء الفيلسوف ابن رشد .

فالدارس لقضية التأويل عند ابن رشد يجد أنه قد أولاها موفور العناية و أفرد لها جانبا كبيرا في أبحاثه و دراساته ودرسها من زوايا عدة وجوانب مختلفة ، و ذلك حرصا منه علي ألا يفتح باب التأويل على مصراعيه فيدخل فيه من ليس أهلا له ،ويترتب علي ذلك فساد الشريعة وتشويش العقيدة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن الدارس كذلك لقضية التأويل عند ابن رشد لا بد أن يدرك أنه قد جعل منها وسيلة للوصول إلي غاية حرصاً منه علي تنزيه النص الديني والمحافظة علي قداسته فقد كان التأويل وسيلته في التوفيق بين الحكمة و الشريعة أو بين الدين والفلسفة ، فهو يقول : " ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدي إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع إن ذلك

(1) التأويل بين الأشعرية و ابن رشد ص 203 ، ضمن أبحاث كتاب الفيلسوف ابن رشد مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العقلي ، إشراف و تصدير د عاطف العراقي ، المجلس الأعلى للثقافة،ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة 1993م .

obeikandl.com

الظاهر يقبل التأويل علي قانون التأويل العربي وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب بها مؤمن "[1].

وعلي هذا فالتأويل كان وسيلته للتوفيق بين الدين و الفلسفة ، هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن التأويل الذي سلكه مفكرو الإسلام صار في اتجاهين مختلفين :

الأول : إيجابي : تمثل في محاولة رد المتشابه إلى المحكم ، و العمل على التوفيق بين حقائق الوحي و الآراء الفلسفية ، لدفع ما يوهم التعارض بينهما خصوصا و الحقيقة واحدة .

الثاني : سلبي : تمثل في المحاولات الخاطئة التي قامت بها بعض الفرق في هذا الجانب ، وترتب عليها تفرق المسلمين ، وهذا الاتجاه مرده إلى أمرين هما :

أ- الخروج على قانون التأويل الصحيح .

ب- التعصب و الهوى .

فغير خفي أن هناك في البيئة الإسلامية من لجأ إلى التأويل لتحقيق أغراض خاصة بمذهب ، أو أهداف تضمن له حفظ مقاصده ، وهذا ما يؤكده الغزالي

عندما يتحدث عن الخائضين في التأويل فيقول : "بين المعقول و المنقول تصادم في أول النظر ، و ظاهر الفكر ، و الخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول ، و إلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول ، و إلى متوسط طمع في الجميع و التلفيق [2] ".

وقد أدرك ابن رشد بدوره أهمية قضية التأويل و خطورتها ، خصوصا و أن تركها أدى إلى اضطراب الناس وتفرقهم من ناحية ، و تحميل الألفاظ مالا تتحمله والحكم على الناس بخلاف ما هم عليه من ناحية ثانية .

يقول ابن رشد : " فإن الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة ، حتى حدثت فرقة ضالة ، و أصناف مختلفة ، كل واحد منهم يرى أنه على

---

(1) فصل المقال لابن رشد، تحقيق د/ محمد عمارة ، ص 32-33 ط دار المعارف- القاهرة .

(2) قانون التأويل للإمام الغزالي ، ص 15 ، قرأه و خرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو ، 1413 هـ 1993م .

obeikandl.com

الشريعة الأولى ، و أن من خالفه إما مبتدع ، و إما كافر مستباح الدم و المال ، و هذا كله عدول عن مقصد الشريعة ، و سببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة[1]" .

ثم يذكر أن هذا الاضطراب مرده إلى سوء الفهم ، و قلة العلم ، وعدم دراية بالتأويل وطريقته و قانونه فهو يقول ما نصه : " و لما تسلط على التأويل في هذه الشريعة من لم يتميز له هذه المواضع ، و لا تميز له الصنف من الناس الذين يجوز التأويل في حقهم اضطرب الأمر فيها ، وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضا ، و هذا كله جهل بمصدر الشرع و تعد عليه[2]" .

لكل ما تقدم يتضح أهمية البحث في هذا الموضوع ، و ضرورة البحث فيه التي تأتي إجابة عن كثير من التساؤلات التي حاول هذا البحث أن يجيب عنها ومنها ما يلي :

1- ما التأويل ؟ و ما الفرق بينه و بين التفسير ؟.

2- متى بدأ التأويل عند المسلمين ؟ و لماذا ؟.

3- هل قام التأويل بدوره فيما يتصل بالكشف الصحيح عن المراد من النص الديني قرآنا كان أو سنة ؟.

4- هل للتأويل ضرورة ؟ و أذا كان له ضرورة فما الذي نؤوله؟ ومن يؤول ؟ و كيف نؤول ؟

هذه الأسئلة و غيرها يحاول هذا البحث – إن شاء الله – الإجابة عنها من خلال تناول إشكالية التأويل عند ابن رشد ، و لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا ابن رشد بالذات ؟

و الجواب عن هذا السؤال يتمثل فيما يلي :

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ضمن كتاب فلسفة ابن رشد ، ص 41 ، راجعه و ضبط أصوله مصطفي عمران ، المطبعة العربية ط3 ، 1388هـ-1968 م .

(2) المصدر نفسه ص 158 .

obeikandl.com

أ- أن ابن رشد أحد القمم السامية في الفكر الإنساني بصفة عامة و الفكر الإسلامي بصفة خاصة يدل على ذلك الأثر الذي أحدثته فلسفته في الشرق و الغرب و إلى يومنا هذا .

ب- أن فلسفة ابن رشد لها من الأسس الشرعية ما يسهم في تأسيس دعائمها ، و هذا مرده إلى تكوين عقلية ابن رشد التي جمعت بين العلوم الشرعية ، و العلوم العقلية و أحسنت المزج بينهما .

ت- أن موضوع التوفيق بين الدين و الفلسفة كان من بين أكثر الموضوعات اهتماما لدى ابن رشد ، فقد أولاه موفور العناية ودرسه دراسة واعية تنم عن فكر راق ومنظم.

ث- أن قضية التأويل عند ابن رشد متعلقة بالنص الديني ،و هذا النص له قدسيته وله مكانته عند ابن رشد – شأنه في هذا – شأن كل مفكري المسلمين ، إلا أن ما يحسب لابن رشد أنه وضع قانونا للتأويل على أسس منطقية محكمة تؤدي في النهاية إلى وحدة الحقيقية بين المنقول و المعقول ،أو بين الحقيقية و الشريعة إذ لا تعارض بينهما أصلا .

ج- أن ابن رشد عند تناوله لهذه المسألة صنف الناس ومراتبهم ودرجات فهمهم ، و بين أن النصوص الشرعية ليست جميعا محلا للتأويل ففرق بين نص يمكن تأويله ، و آخر لا يجوز أو يمتنع تأويله .

ح- أن ابن رشد في استخدمه لمنهجه التأويلي كشف الغموض عن معاني بعض النصوص ، و أزال عنها بعض التصورات الخاطئة .

خ- أنه استعرض المواقف السابقة له في هذا الجانب ثم درسها دراسة واعية متأنية استفاد بما فيها من إيجابيات ، و نبه على ما فيها من مثالب ثم وضع قانونه في التأويل الذي حاول من خلاله الكشف عن مراد النص الديني بما لا يتعارض مع صحيح المنقول أو صريح المنقول .

لكل هذه الأسباب جاء هذا البحث .

منهج الكتاب : مما لا ريب فيه أن منهجية البحث توضح دقته ،وتضع المعايير الواضحة في عملية السير فيه أمام القاريء الكريم ، وقد اقتضت إرادة الله ـ عزوجل ـ أن يكون منهجي في هذا الكتاب علي النحو التالي : ـ

الاستعانة بالمناهج العلمية التي أقرها علماء البحث العلمي ومنها : ـ

1 – المنهج التاريخي ، وقد اتضحت معالم هذا المنهج خلال العرض التاريخي لمشكلة التأويل بصفة عامة ،وذلك من خلال بيان كيفية ظهوره وتناول الفلاسفة و المفكرين و أتباع الديانات السماوية له .

2 – المنهج النقدي ، وقد تبلورت صورة هذا المنهج من خلال بيان ما في الاتجاهات الواردة في هذه القضية من خطأ أو صواب .

3 – المنهج التحليلي ، وقد ظهرت صورة هذا المنهج من خلال التوقف أمام النصوص الواردة عن المفكرين ، ومحاولة تحليلها تحليلاً علمياً ، يكشف المراد ، و يظهر المطلوب .

وبجانب هذه المناهج قد يلجأ الباحث إلي بعض المناهج الأخرى وخصوصاً المنهج الاستقرائي . وقد تتداخل هذه المناهج ، وقد تنفرد .

وقد واجهتني عدة صعوبات كان من أهمها ، صلة الموضوع بمباحث عديدة ، وتشعبه ، و اختلاف الآراء حوله بل و تضاربها في بعض الأحيان .

وقد اعتمدت في بحثي هذا علي مصادر أساسية ومراجع ثانوية ، وعزوت كل نقل إلي قائله .

هذا وقد قضت طبيعة البحث أن يكون السير فيه علي النحو التالي : أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وفهارس .

أما المقدمة : – فقد وضحت فيها أهمية الموضوع ، و أسباب اختياره ، ومنهج البحث وصعوباته ، وخطة السير فيه .

أماالتمهيد : ففيه بيان لمعنى التأويل في اللغة و الاصطلاح ، وبيان الفرق بينه و بين التفسير .

obeikandl.com

وأماالمبحث الأول :فجاء بعنوان إشكالية التأويل رؤية تاريخية :

وجاءالمبحث الثاني بعنوان : العلاقة بين العقل و النقل عند ابن رشد .

و أما المبحث الثالث فجاء بعنوان: منهج ابن رشد في التأويل .

و أما المبحث الرابع : فجاء بعنوان نماذج من تطبيقات ابن رشد لمنهجه التأويلي .

ثم أردفت ذلك بخاتمة اشتملت علي أهم النتائج التي توصل البحث إليها . ثم أخيرا الفهارس وفيها : -

= فهرس المصادر والمراجع .

= فهرس الموضوعات .

وبعد ،أ فهذا جهدي وعملي أسأل الله تعالى أن ينال القبول ، فإن كنت أصبت فذلك من فضل الله – تعالي - ، وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي- والشيطان والله ورسوله منه براء .

﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نفسك...﴾[1] .

و أدعو الله – عز وجل- ألاّ أحرم أجر المجتهد أصاب أو أخطأ ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وفي ميزان الحسنات يوم القيامة إنّه قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا فنعم المولى و نعم النصير

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❁ د/ نظير محمد محمد عياد❁.

(1)سورة النساء جزء من الآية 79 .

obeikandl.com

التمهيد

التأويل بين اللغة والاصطلاح ،وبيان الفرق بينه وبين التفسير

أولا تعريف التأويل: في اللغة:

تعد مشكلة التأويل واحدة من أعمق المسائل الكلامية و أعقدها ، وقد تناولها العلماء والمفكرون عبر العصور المختلفة بالبحث والدراسة من نواح متعددة ، وكانت مسألة تحديد ماهيته من المسائل التي عني بها المفكرون خصوصاً وأن المنهجية العلمية تقتضي تحديد مفهوم المشكلة محل الدراسة ،وفهم معناها ،حيث " إن التفاهم والتخاطب إنما يقوم على فهم مدلولات الألفاظ ، وبيان المراد منها[1] ".

وعند الرجوع لكلمة التأويل لمعرفة معناها نجد أنها من الكلمات الثرية بالمعاني فلها معان متعددة،ودلالات مختلفة، وليس أدلَّ على ذلك من أن المستعرض لكتب اللغة يجد ذلك دون عناء ، ومن ذلك ما جاء في "معجم مقاييس اللغة لابن فارس[2]"

آل يؤل أي رجع . قال يعقوب:يقال: أول الحكم إلى أهله أي راجعه ورده إليهم.

قال الخليل: آل اللبن يؤول أولا وأولا: خثر و،كذلك النبات، قال أبو حاتم: آل اللبن على الإصبع، وذلك أن يروب فإذا جعلت فيه الإصبع قيل آل عليها، وآل

---

(1)المرشد السليم في المنطق القديم و الحديث ،د/ عوض الله حجازي ص 72 ط خامسة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

(2)ابن فارس، الإمام العلامة اللغويّ المحدّث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمّد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازيّ المالكيّ، نزيل هَمَذان، وصاحب كتاب «المُجْمَل»، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقه مالك، مناظرًا متكلّمًا على طريقة أهل الحقّ، وله مصنّفات ورسائل وتخرّج على يديه الأئمة. توفّي بالرَّيّ في صفر سنة 395 هـ. الذهبيّ، «سير أعلام النبلاء 11/ 52،51»، رقم الترجمة 3831.

القطران إذا خثر، وآل جسم الرجل إذا نحف ، وهو من الباب لأنه يجوز ويجرى أي يرجع إلى تلك الحال، والإيالة: السياسة من هذا الباب ؛ لأن مرجع الرعية إلى راعيها.

قال الأصمعي: آل الرجل رعيته يؤولها إذا أحسن سياستها، ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه والتأويل آخر الأمر وعاقبته، يقال: مآل هذا الأمر مصيره. وهو مشتق من الأول وهو العاقبة والمصير ، ومنه قوله تعالى: ﴿... هل ينظرون إلا تأويله... ﴾[1] أي عاقبته[2].

وجاء في لسان العرب : آلَ الشيءُ يَؤُولُ إِلى كَذَا أَي رَجَع وَصَارَ إِليه، وَالمُرَادُ بالتَّأْوِيل نَقْلُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ الأَصلي إِلى مَا يَحتاج إِلى دَلِيلٍ لَوْلَاهُ مَا تُرِك ظاهرُ اللَّفْظِ؛"[3].

وجاء في كتاب تهذيب اللغة: التأويل من أول يؤول تأويلا ثلاثيه: آل يؤول، أي رجع وعاد. وسئل أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والتغيير واحد قلت،: ألف الشيء: جمعته وأصلحته وقال بعض العرب: أول الله عليك أمرك أي جمعه، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك شملك وقال الليث: التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه، وأنشد قائلاً :

نحن ضربناكم على تنزيله ... واليوم نضربكم على تأويله

والتأويل: المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه"[4].

---

(1)سورة الأعراف جزء من الآية 53.

(2)ينظر : معجم مقاييس اللغة لأبى الحسن بن فارس بن زكريا. تحقيق أ، عبد السلام هارون ـ 1/ 158- 162. ط . مطبعة مصطفي الحلبي وشركاه . الطبعة الثانية 1389هـ 1969م.

(3) ينظر : لسان العرب لابن منظور باب الألف كلمة (أول) 1/ 171. طبعة دار المعارف.

(4)ينظر : تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب مادة أول 15 / 239 ،نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 2001م ، والبيت ورد ذكره منسوبا إلى عمار بن ياسر ، وقيل أن قائله هو عبد الله بن رواحة (ينظر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ط دار المعرفة- بيروت 1/ 501 ، الوفي بالوفيات للصفدي ، تحقيق أحمد الأرنؤط

obeikandi.com

وجاء في المعجم الوسيط: " أول الشيء إليه: أرجعه، ويقال في الدعاء لمن فقد شيئا: أول الله عليك ضالتك، وفي الدعاء عليه لا أول الله عليك ضالتك، وآل إليه: رجع وصار"[1].

ومما سبق من أقوال أئمة اللغة يتبين أن التأويل مبنى يحمل في طياته معاني الرد، والصرف، والتحول، والرجوع، والعاقبة والتغيير والصيرورة .

هذا ، و قد أطال ابن منظور – رحمه الله تعالى – النفس في بيان معنى هذه الكلمة في « لسان العرب » و لولا خوف الإطالة لنقلت منه، إلا أن كلامه يؤول إلى ما سبق نقله، و بالله التوفيق.

ثانياً : تعريف التأويل في الاصطلاح :

عرف التأويل في الاصطلاح بعدة تعريفات منها :

أنه بمعني التفسير : فتأويل الكلام أي تفسيره وهذا ما يؤكده ابن جرير الطبري في تفسيره عندما يقول : القول في تأويل قوله تعالي كذا وكذا وبقوله : اختلف أهل التأويل في هذه الآية فإن مراده التفسير وهذا هو معني التأويل عند السلف [2].

كما عرف بأنه ما يؤول إليه الكلام ويرجع والكلام إنما يرجع ويعود إلي حقيقته التي هي عين المقصود. وهو نوعان:

(أ) إنشاء (ب) أخبار

ومن الإنشاء الأمر فتأويل الأمر هو الفعل المأمور به .

و من ذلك ما روي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " كان رسول – ﷺ – يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي . " يتأول القرآن "[3].

و تركي مصطفى 22/ 233 ط دار احياء التراث 2000م ، أساس البلاغة للزمخشري ، 1/ 25 ط ، دار الفكر 1399هـ – 1979 م) .

(1)ينظر : المعجم الوسيط باب الهمزة 1/ 23 ط دار المعارف 1392هـ 1972م .

(2)ينظر : مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية 2 / 18 الرسالة الأولي " الإكليل " طبع دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان بدون .

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ 1/ 350 ، حديث رقم 484 ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

obeikandl.com

يعني قوله تعالي : ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾[1] .

قال الإمام ابن حجر في شرحه للحديث: ومعنى قوله " يتأول القرآن: يجعل ما أمر به من التسبيح والتحميد والاستغفار في أشرف الأوقات والأحوال "[2] .

وتأويل الأخبار : هو عين المخبر به إذا وقع كقوله تعالي : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه علي علم هدي ورحمة لقوم يؤمنون ، هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾[3] .

فقد أخبر أنه فصّل الكتاب وأنهم لا ينظرون إلا تأويله أي مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشرا طها وما في الآخرة وما فيها[4] .

وقد عرف الإمام الجويني التأويل بقوله :التأويل رد الظاهر إلى ما إليه ماله في دعوى المؤول وإنما يستعمل إذا علق بما يتلقى من الألفاظ منطوقا ومفهوم[5] .

أماالإمام الغزالي فقد عرفه بقوله : التَّأْوِيلَ عِبَارَةٌ عَنْ احْتِمَالٍ يُعَضِّدُهُ دَلِيلٌ يَصِيرُ بِهِ أَغْلَبَ عَلَى الظَّنِّ مِنْ الْمُعْنَى الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَأْوِيلٍ صَرْفًا لِلَّفْظِ عَنْ الْحَقِيقَةِ إلَى الْمَجَازِ[6] .

و قيل : هو صرف اللفظ عن المعني الراجح إلي المعني المرجوح لدليل يقترن به وهذا التأويل يتكلمون عنه في أصول الفقه ومسائل الخلاف فإذا قال أحد منهم هذا النص محمول علي كذا . قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلي دليل[7] .

---

(1) سورة النصر . الآية 3 .

(2) ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني 8/ 734ط دار الريان للتراث – المكتبة السلفية .

(3) سورة الأعراف . الآيتان 52، 53 .

(4) ينظر : مباحث في علوم القرآن . مناع القطان ص 325 طبع مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية والعشرون 1990 م .

(5) ينظر: البرهان في أصول الفقه للجويني ، 1/ 193 تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة نشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1418 هـ – 1997 م .

(6) ينظر : المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي ص 196، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، نشر: دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى، 1413هـ – 1993م

(7) ينظر: أساس التقديس للرازي ، ص 235 ، مكتبة الكليات الأزهرية ، 1986 م ، وينظر : التفسير والمفسرون . د/ محمد حسين الذهبي 1 / 19 – مكتبة وهبة .

ويتبين من هذه التعريفات اشتراكها جميعاً في اعتبار التأويل خلاف الأصل لأنه آخذ بالاحتمال المرجوح حسب عبارة بعضهم، وبغير الظاهر حسب عبارة الآخرين.

هذه بعض التعاريف التي عرف بها التأويل في الاصطلاح وهي رغم تعددها تشترك في أن التأويل عبارة عن صرف المعني الظاهر من اللفظ إلي معني آخر يحتمله اللفظ ويعضده و لذلك لا بد أن يسنده دليل تكون دلالته أقوى من دلالة الظاهر، أوجب صرفه عنه إلى غير مدلوله، وأن قوة الدليل تكون بغلبة الظن عند المجتهد وهي متحصلة بالقرائن. هذا من ناحية ، ومن ناحية آخري فإن هذا التعريف لم يرد إلا علي ألسنة المشتغلين بالنصوص الدينية وهذا يوضح لنا أهمية التأويل في تلك البيئات[1] .

ثالثاً : التفسير في اللغة :

التفسير في اللغة : " مأخوذ من الفسر والفسر يراد به البيان . يقال فسر الشيء يفسره أي أبانه، والتفسير مثله، وقيل التفسير والتأويل، والمعني واحد "[2].

والتفسير يأتي بمعنيين .

الأول : بمعني الكشف الحسي . الثاني : الكشف عن المعاني المعقولة .

جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم في بيان معني التفسير ، أن التفسير منه المادي: وهو كشف المغطى، ومنه المعنوي، وهو كشف المراد، والأول استعماله أقل من الثاني[3].

وقصارى القول: أن التفسير في اللغة يدور حول معني الكشف والبيان والتوضيح.

رابعاً : تعريف التفسير في الاصطلاح :

ساق العلماء عدة تعريفات للتفسير في الاصطلاح ومن بين هذه التعريفات :

(أ) عرفه أبو حيان قائلاً : هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها من حيث الإفراد والتركيب ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك [4].

---

(1) ينظر : في ظاهرة التأويل د. السيد عبد الغفار ص 19 – 20 ، دار المعرفة الجامعية 1980 م.

(2) لسان العرب . لابن منظور مادة فسر 5 / 3412 – 3413 .

(3) ينظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم . مجمع اللغة العربية 2 / 850 ط الهيئة العامة للكتاب 1973 م ، و التفسير والمفسرون . 1 / 15 .مكتبة وهبة بالقاهرة .

(4) البحر المحيط .أبو حيان التوحيدي 1 / 10 ط دار الكتب العلمية بيروت .

obeikandl.com

(ب) عرفه الزركشي بأنه :" علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل علي نبيه محمد – ﷺ – وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ "[1] .

(ج)عرفه الزرقاني بأنه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته علي مراد الله تعالي بحسب طاقة البشر [2] .

(د) وعرفه السيوطي بأنه :" علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها) [3].

والملاحظ علي تعريف السيوطي اتساع دائرة علم التفسير ليحدد من خلال تعريفه مباحثه التي يبحث عيها ، وهذا تعريف شامل ، جمع فيه السيوطي ما يخص هذا العلم من مباحث .

هذه بعض التعريفات التي عرف بها التفسير في الاصطلاح – وهي كما نري – ركزت علي بيان أن التفسير يعني بكتاب الله تعالي وما يتصل به من علوم وفنون ، ولذا يمكن القول عنها بأن بعضها يكمل بعضا .

---

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي . 1/ 13 .تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1972م .

(2) مناهل العرفان للزرقاني 2 / 3 طبعة المطبعة الفنية بالقاهرة . بدون .

(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 2/ 173، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 م .

obeikandl.com

خامسا : أوجه الاختلاف والاتفاق بين التفسير والتأويل :

تعددت الأقوال واختلفت الاتجاهات في بيان الفرق بين التفسير والتأويل فمن قائل من أنهما بمعني واحد ، ومن قائل بأن لكل منهما معني خاص به ، وهذا إجمال يحتاج لتفصيل أعرض له علي النحو التالي :

أولا : من حيث الاختلاف :

ذهب جمع من العلماء إلي القول بوجود فرق بين التفسير والتأويل علي اعتبار أن التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[1].

يقول الماتريدي فيما ينقله عنه – صاحب الإتقان في علوم القرآن – التفسير هو القطع علي أن المراد من اللفظ هذا والشهادة علي أن الله عني باللفظ هذا المعني، فإن قام لذلك دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي منهي عنه، بخلاف التأويل فهو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة علي الله[2] .

وقيل أيضاً في بيان الفرق بينهما : التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط : بالطريق، والتأويل تفسير باطن اللفظ فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير أخبار عن دليل المراد ؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل.

مثال ذلك قول الله تعالي: ﴿ إن ربك لبالمرصاد﴾[3]تفسيره أنه من الرصد، يقال رصدته رقبته، والمرصاد "مفعال" منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عنه، والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه، علي خلاف وضع اللفظ في اللغة[4] .

---

(1) نفسه 2 / 192 .

(2)المصدر نفسه ، وينظر : التفسير والمفسرون 1/ 21.

(3) سورة الفجر الآية 14

(4) الإتقان في علوم القرآن 2 / 193 .

هذه بعض أقوال العلماء التي قيلت في بيان الفرق بين التأويل والتفسير من حيث الاختلاف .

ثانيا : من حيث الاتفاق :

بجانب وجهة النظر السابقة التي يذهب أصحابها إلي القول بوجود فرق بين التفسير و التأويل و إن كان الأخير مرجعه إلي الأول ، توجد وجهة نظر أخري يذهب أصحابها إلي عدم التفرقة بين التفسير والتأويل ومن هؤلاء :

1 – الإمام الرازي ، فقد ذهب في تفسيره إلي القول بأنهما بمعني واحد فهو يقول : فاعلم أن التأويل هو التفسير وأصله في اللغة المرجع والمصير من قولك آل الأمر إلي كذا إذا صار إليه وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه هذا معني التأويل في اللغة ثم يسمي التفسير تأويلاً قال سبحانه وتعالي: ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾[1] .

3 – ابن الجوزي فقد ذهب في تفسيره إلي القول بأنهما بمعني واحد ، فهو يقول : إن في التأويل وجهان: أحدهما انه التفسير والثاني العاقبة المنتظرة ويؤيد ذلك ما جاء عن ابن عباس انه قال: أنا ممن يعلم تأويله أي تفسيره[2].

3 – ما ذكره السيوطي أن جماعة من الصحابة قالوا : هما بمعني واحد[3].

هذه بعض الأقوال التي قيلت في بيان أن التفسير و التأويل بمعني واحد ، والذي أرجحه أنه لا يوجد فرق بينهما ويؤيد ذلك أننا نجد بعض مؤلفي التفاسير سموها بأسماء لا تنبئ بالتفرقة بينهما كتفسير الزمخشري " الكشاف عن حقائق التنزيل وأسرار التأويل " كذلك ابن جرير الطبري في تفسيره المسمى بـ " جامع البيان في تأويل آي القرآن " يقول : قال العلماء في تفسير هذه الآية ما يلي، وهذا يدل علي أن هؤلاء المفسرين لم يفرقوا بين التفسير والتأويل بل هما بمعني واحد .

---

(1) التفسير الكبير للرازي 7 / 173 طبع دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية بدون والآية من سورة الكهف آية رقم 78

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 1 / 354 . ط المكتب الإسلامي . ط 3، 1404 هـ – 1984 م .

(3) الإتقان في علوم القرآن 2 / 173 .

obeikandi.com